گـۆڤـاری زانـکـۆی ڕاپـەڕیــن
Journal of University of Raparin.
مجلة جامعة رابرين
E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
DOI: https://doi.org/10.26750/ecfdwf11
تاريخ الاستلام: 10/04/2025
تاريخ الــقبول: 18/06/2025
تاريخ النـــشر: 29/10/2025

اللغة السردية وتمثلات الاستلاب في روايات نجوى بن شتوان

هانا خالد رسول[1] - سامي ناجي سوادي[2]
hana@uor.edu.krd - alanaji22@uor.edu.krd
[1+2]قسم اللغة العربية، فاكلتي التربية، جامعة رابرين، قلعةدزة، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص

تهتم هذه الدراسة والموسومة (اللغة السردية وحمولة الاستلاب في روايات نجوى بن شتوان)بآليات اشتغال اللغة ودورها الفعّال كونها العنصر الأساس في بناء الرواية، وقد تطرقنا إلى ذكر ثلاثة أنواع من التوظيف اللغوي ويسبقها مقدمة عن أهمية اللغة في البناء السردي من قبيل: صوت المرأة وبدايات دخول المرأة إلى عالم الكتابة وكيف أصبح للمرأة صوت تعبر به عن نفسها، ووجدنا أن موقف المرأة تجاه الاستلاب وما تتعرض لها من الظلم والحرمان انقسمت وفقه على موقفين: موقف خاضع وممتثل للاستلاب، وموقف رافض ومقاوم حيال ما تتعرض له، أما النوع الثاني التوظيف اللغوي فقد خصص للغة الساخرة، والكيفية التي استطاعت أن تجمع بها الروايات بين سخرية تستدعي الفكاهة والمرح وبين شعور الحزن والمعاناة لدى الشخصية المستلبة فضلاً عن تسليط الضوء على قضية مهمة في الرواية العربية المعاصرة ألا وهي قضية التفاصيل الصغيرة إذ نلاحظ أن روايات ما بعد الحداثة تهتم على نحو ملحوظ بذكر التفاصيل وتسهب في سرد الأحداث ووصف الأشخاص والأمكنة. أما النوع الثالث من التوظيف والاشتغال السردي بواسطة اللغة فقد اهتم بالبعد الشعري الذي تحمله المفردات والتراكيب.

وكيف يتميز المعجم الشعري في روايات التي هي عينة الدراسة مع ذكر بعض النصوص التي تمثل الاستلاب وجاءت باللهجة الليبية الشّعبية فضلاً عن جمالية التراكيب، وكيف يتميز المعجم الشعري في روايات التي هي عينة الدراسة مع ذكر بعض النصوص التي تمثل الاستلاب وجاءت باللهجة الليبية الشّعبية فضلاً عن جمالية التراكيب التي هي من نوع فن التشبه والاستعارة، وتمثل حالة الاستلاب لدى الشخصيات. ثم ختمنا الدراسة بمجموعة من النتائج التي وصلت اليها الدراسة، مع ذكر أهم المصادر المستخدمة.

الكلمات المفتاحية: السرد، الرواية، التوظيف اللغوي، الاستلاب، نجوى بن شتوان

Narrative Language and the Representations of Alienation in Najwa Ben Shatwan's Novels

Hana khalid rasul[1] - Sami Naji Swadi[2]

[1+2]Arabic Department, Faculty of Education, University of Raparin, Qaladze, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract

This study, entitled "Narrative Language and the Load of Alienation in the Novels of Najwa Bin Shatwan," examines the mechanisms of language's operation. Three types of linguistic employment have been discussed, preceded by an introduction to the importance of language in narrative construction, such as: the woman's voice, the beginnings of woman's entry into the world of writing, and how woman acquired a voice to express herself.

The women's attitude toward alienation, the injustice, and deprivation are divided into two attitudes: an attitude of submission and compliance to alienation, and a rejection and resistance to what they are subjected to.

The second type was devoted to satirical language in which the novels were able to combine sarcasm that invokes humor with the feelings of sadness and suffering of the alienated character, in addition to the focus of the small details in the contemporary Arab novel. Specifically, the postmodern novels elaborate on narrating events and describing people and places.

The third type of narrative employment and work through language focused on the poetic dimension carried by vocabulary and structures. How is the poetic lexicon distinguished in the novels that are the sample of the study, besides mentioning some texts that represent alienation and came in the popular Libyan dialect, in addition to the beauty of the structures.

Key words: Narration, Novel, Language employment, Alienation, Najwa Bin Shatwan

المقدمة

تأخذ اللغة مكانتها المهمة في مجمل الأعمال الأدبية وفي الأعمال الروائية على وجه الخصوص، فهي الوسيلة الأساسية التي يتم عبرها نقل الأفكار والرؤى كما تعّد حلقة مهمة بين الكاتب والمتلقي. والرواية بوصفها عملاً أدبياً متميزاً تتخذ من اللغة ركيزة أساسية تتكئ عليها في بناء عالمها الخاص، وإيصال الرسالة إلى المتلقي. ومن هذا المنطلق يمكننا

القول إن الحديث عن اللغة في الرواية هو حديث عن مكون أساسي ومركزي لهذا الجنس الأدبي، ذلك أن الرواية بوصفها شكلا أدبياً لا يمكن أن تكتب بمعزل عن اللغة، فهذه الأخيرة هي جوهر العمل الأدبي عموما، وأساس الرواية على نحو خاص. حيث نجد أن اللغة تؤدي دورا أساسياً في الرفع مستوى جودة الرواية أو خفضها. إذن على وفق ذلك فالرواية هي تشخيص اللغة وتصوير الذات والواقع اعتماداً على التشكيل اللغوي.

إشكالية البحث: تتمحور إشكالية البحث حول مجموعة من التساؤلات يمكن تلخيصها:

1-ما الآليات اللغوية التي وظفتها روايات بن شتوان لتجسيد حالات الاستلاب؟

2-كيف يمكن للغة الساخرة التي تستدعي الفكاهة والمرح أن تعبر عن الاستلاب والحزن والحرمان؟ فكيف استطاعت الروايات من الجمع بين الضدين في آن واحد؟ وكيف تؤثر السياق والظروف في تقلب المعنى؟

أهداف البحث أهم الأهداف التي سعى البحث لتحقيقها تكمن في:

1-الكشف عن العلاقة التي تربط بين اللغة السردية والفضاءات الاجتماعية والثقافية في الروايات وكيف تعكس هذه العلاقة الاستلاب؟

2-إثبات حقيقة أن في بعض الأحيان قد لا تكون المفردات والتراكيب ساخرة إلا أن الظروف والسياق التي ترد فيها الكلام تجعلها ذات طابع ساخر بهدف النقد والاصلاح.

أهمية البحث

1-عدم وجود دراسة شاملة تدرس جميع الروايات فضلاً عن قلة الدراسات التي تناولت الجانب اللغوي لروايات بن شتوان، مما يدعم ويعزز من قيمة البحث.

2 وظفت الروايات اللغة كأداة للكشف عن الاستلاب بأنواعه المتنوعة (الذاتي، الاجتماعي، الثقافي، ....)

3- الربط بين موضوع ثقافي واجتماعي مهم ألا وهو (الاستلاب) وبين تمثله سرديًا مما يعزز الاشتغال النقدي على وفق محورين: فني وثقافي.

منهجية البحث

بغية تحقيق أهداف البحث ومعالجة إشكاليته اتبعنا منهجاً وصفياً تحليلياً فقمنا بعرض عام وعميق عن تمثلات اللغة المدروسة لتكون تمهيدًا للتطبيق النقدي على الروايات ثم اخترنا من الروايات ما يطابق تلك التمثلات من اللغة ويمثل الاستلاب والحرمان، مع تحليل النصوص وتحديد الدور الذي أدته اللغة في عرض وتمثل حالات الاستلاب.

1 صوت الاستلاب

تعّد اللغة العنصر الرئيس في بناء الرواية، وتشكيل عالمها الفني، إلى جانب العناصر البنائية الأُخرى التي يتكون منها العمل الأدبي. والخطاب الروائي من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على احتواء تجليات اللغة؛ إذ من غير الممكن تصور رواية ما بعيداً عن اللغة ففي الشعر مثلًا نطالع أحياناً قصائد بيضاء أو تشكيلية بصرية تغني النص وتقدم رؤية الشاعر. أما في الرواية فـ "باللغة تنطلق الشخصيات، وتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب(عثمان، 1982، 199) ثم إن الكتابة الروائية عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي فمن دون اللغة لاوجود لا ي شيء آخر فيها، وحين نتحدث عن اللغة لا نريد بها اللغة بمعنى(اللسان) بل نريد بها اللغة الإبداعية أي اللغة التي يستخدمها الكاتب لكتابة الرواية، لغة الحكي وقص الأحداث، وهي نظام معقد(مرتاض، ، 1998، 106)، وتميز الرواية عن المقالات الفلسفية، والتأريخية والاجتماعية إلى جانب عناصر الفنية التي سبق ذكرها وتضفي على قراءتها المتعة، وتجذب المتلقي. واللغة الروائية تمتاز بحيويتها؛ حيث أنها تتفاعل مع العناصر الفنية فتتأثر

بالحدث، وبالشخصية وتتطور اللغة بتطور الشخصيات والأحداث فتأخذ طابع الشخصية التي تنطق بها، وصفات الحدث الذي ترويه؛ لذلك نجد أن "اللغة الروائية مختلفة تمام الاختلاف عن اللغة الإنشائية "لكون الأخيرة لغة خارجية، ستاتيكية لا تسعى إلى تطوير، بينما اللغة الروائية ديناميكية، وظيفية متفاعلة مع محيطها الفني(حمود، ، 1992 ، 91).

فعن طريق اللغة يتعرف المتلقي على أعماق الشخصية، ورؤيتها التي يهدف الروائي إلى طرحها، وأيضا الصورة الخارجية للشخصية وموقفه أمام الأحداث، والناس والتأثير الذي يتركه في الرواية كما يتعرف المتلقي عبر اللغة على الفضاء الروائي الذي تطرح عبره الرواية.(بارث، 1992، 12) ومن الجدير بالذكر أن جمال اللغة الروائية لا يرتبط بالمفردات والألفاظ اللغوية كونها ألفاظاً بحد ذاتها؛ بل جمال اللغة الروائية مرتبط بتفاعل المفردات والألفاظ مع بعضها من بدء الرواية حتى خاتمتها فضلاً عن توظيف المفردات على نحو مناسب للمواقف والشخصيات. إذن لغة الرواية من زاوية البناء الفني، ليست هي الكلمات المفردة أو الألفاظ، من أفعال وأسماء وحروف، مما يدخل في تركيب التعابير والجمل وإنما هي شيء آخر، إنها مجمل الوسائل التقنية التي تجعل من الرواية رواية، وفقاً للمصطلح النقدي المتعلق بهذا النوع الأدبي، إنها الموضوع المطروق، وإنها الشخصيات بأنواعها وبتشكيلها ورسمها الفني، وإنها المكان من حيث كونه خلفية أو إطاراً يفترض أن يكون مناسباً لما يجري فوقه من أحداث، وما يتحرك فيه من شخصيات، وإنها الزمن وتفاعلا ته وتداخلا ته وتأثيره، في الأحداث والشخصيات، وإنها أسلوب تعبير عن كل ذلك من سرد ووصف وحوار وإنها فضلاً عن ذلك كله؛ المفردات أو الوحدات اللفظية التي هي أداة كل عنصر من عناصر نسيج اللغة الروائية(تاورته، 2004 ، 53)

يتبين مما تقدم أن الاهتمام باللغة مسألة أساسية في نقد العمل الأدبي بصرف النظر عن نمط تلك اللغة؛ فهي مادة الروائي والكاتب في جميع الأجناس الأدبية. ومما لاشك فيه أن لغة الأدب تقوم على عنصرين أساسين، هما: الصحة التي ينبغي أن تؤدي إلى الإفادة، والجمال الذي لا يمكن الاستغناء عنه للوصول إلى الغاية. كما يجب أن تكون لغة الشخصية في الرواية مستقلة وموضوعية، ولا تخضع لتأثير المؤلف؛ بل أن يقف المؤلف وراء هذا العالم متخفياً صانعاً من دون أن يفرض رؤيته وصوته على تلك الشخصيات، وهذا ما يطلق عليه ديموقراطية الرواية، أو المبدأ الحواري بحيث تمتلك كل شخصية في الرواية لغتها الخاصة ومن هنا يمكننا القول: إن اللغة ذات منبع اجتماعي تتلون باختلاف الشخصيات والطبقات والمهن والطبائع، والأفكار وتكون مهمة التعبير عن التنوع والتعدد من أبرز اهتمامات الروائي، الذي ينبغي أن يمثل هذا التنوع من دون أن يوحده في لغته الخاصة. وأن الروائي المبدع هو الذي يمتلك ناصية اللغة، ويحسن توظيف مفرداتها وتراكيبها على نحو تتناسب مع الدرس الأدبي فـ"تقنية الكاتب أولاً وأخيراً هي مهارة اللغة"(عبيدالله، 41)

وهذا يعني أنه لا يمكن تصور إنسان كحقيقة خارج إطار اللغة؛ لأنها تحمل حقيقة وجوده فهو لا يفكر إلا داخلها، أو بواسطتها فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره، فيبلغ ما في نفسه ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه(مرتاض، 1998 ، 139) وما ذلك إلا لأن اللغة هي "قوة التفكير وقوة الوعي بأشياء موجودة فعلاً، وإدراك أشياء وحالات لا توجد أيضا"(راضي، 1984 ، 30) ومن الأهمية التي تضاف للغة في العمل الروائي هو ذلك التنوع الذي أفرز لنا مفهوم الصوت ويراد منه التعدد الصوتي، ويتمثل في "صراع المواقف واختلاف الرؤى، ويتحقق عبر تمثيل كلام الآخر في الخطاب، وعبر الحوارات الخالصة وعبر التعدد اللغوي والتعدد الكلامي.(باختين، 1986، 9).

بمعنى أن اللغة في الرواية خاصة والسرد عامة هي لغة اجتماعية، وكل صوت هو حامل لوعي ما، باعتبار كل كلمة في تمظهرها داخل الرواية والقصة تكون مشحونة دائما بمضمون أو بمعنى إيديولوجي أو وقائعي، ومن هذا المنطلق، يمكن

القول أن صورة اللغة في الرواية والسرد هي صورة منظور اجتماعي، أي صورة لفئة اجتماعية معينة متشبثة بخطابها ونغمها وأساليبها، تعمل على بث إشارات تساعد على إبراز الفوارق الاجتماعية والطبقية، أو العمل على توجيه ملاحظات مباشرة من طرف المؤلف إلى خطابات شخصياته السردية والتعليق عليها.(باختين، 1987 ، 106).

والمتأمل في روايات بن شتوان، يلاحظ أن اللغة تكتسب أهميةً كبيرةً، ولا يمكن إغفال الدور الذي أدته اللغة في تمثيل حالات الاستلاب، واهتمام الروائية واضح جداً بلغتها الروائية، وقد أعلنتْ الروائية في إحدى مقابلتها التلفزيونية لها عن السبب الذي دفعها إلى كتابة روايتها الشهيرة(زرايب العبيد)؛ أنها قد طالعت محض صدفةً صورة فوتوغرافية لامرأتين وطفلة وهما داخل الزرايب فجاءت فكرة الرواية، لذلك نجد أن رواياتها حافلة بتعدد الأصوات، ومن بينها صوت المرأة واضحة في رواياتها وهي تشكو الحرمان والاستلاب، ونجدها تتحدث عن لغتها الساخرة فتقول: (أعلى درجات التعبير هي أن تسخر) كما أنها وصفت اللغة الساخرة بأنها لغة راقية وشافية.(بن شتوان، 2024) وتثير الدراسة هذه سؤالاً مفاده كيف استطاعت بن شتوان أن تعبر بلغة ساخرة وأن تستدعي الفكاهة والمرح في موضوعات من قبيل: الاستلاب والاغتراب والحرمان، وليس هذا فقط بل وجعلت من لغتها الساخرة وسيلة تعبر عبرها عن تلك الحالا ت، التي تتعرض اليها المرأة. بمعنى أنها قد استطاعت أن تجمع بين ضدين، هذا إلى جانب قدرتها في التراكيب الشعرية، وتوظيف اللغة لتقديم أوصاف نفسية، وثقافية، وسياسية، وفلسفية، من أجل ذلك كله؛ خصصنا هذا الفصل من الدراسة للغة وحضورها المهيمن في الروايات، التي هي عينة الدراسة، ثم ربط بين لغة وموضوع دراستنا-الاستلاب والكيفية التي وظفت بها الروائية لغتها الروائية.

1-1 صوت المرأة

يمثل دخول المرأة إلى عالم الكتابة تحولاً جوهرياً في الأدب العربي، بعد قرون طويلة اقتصر فيها دورها على الحكي الشفهي، في حين هيمن الرجل على اللغة المكتوبة. هذا التحول فتح فصلاً جديداً في التعبير عن الأنثى وتجربتها، إذ لم يعد الرجل وحده من يكتب عنها، ويصف حقيقتها وصفاتها.

لقد تمكنت المرأة من كسر احتكار القلم الذي ظل حكراً على الرجل لمدة طويلة، وأصبحت تمارس الكتابة الروائية وتعبر عن ذاتها بحرية. ومع دخول المرأة إلى عالم الكتابة أضاف صوتاً مختلفاً ومميزاً إلى اللغة، وفتح آفاقاً جديدة ظلت مغلقة لقرون طويلة.(الغذامي، 2008 ، 8) ومع هذا، ليس من المعقول أن نقول هذا أدب نسائي وذاك أدب ذكوري غير أن أحدهما سواء كان رجلاً كاتباً أم امرأة كاتبةً يكون أكثر دقة في تصوير جوانب معينة من الحياة بحكم معرفته الحميمة أو الخاصة، ففي بعض الأعمال الروائية نجد أن المرأة أقدر من رصد قضايا المرأة وكشف عوالمها المتقلبة لذلك" سيكون من الخسارة الفادحة أن تكتب النسوة بأسلوب الرجال فهذا يجعلنا عاجزين عن الإحاطة بمدى هذا العالم وتنوعه" نفهم من هذا أن الرواية التي تكتبها المرأة ولكنها تتخذ أسلوباً ذكورياً في كتابتها لا يمكن عدها عملاً نسوياً ولا يتضح شيئاً من معالم نسوية فيها، إذن لا يمكن القول إن تلك الرواية نسوية بمجرد أن كاتبتها امرأة؛ بل لابد للرواية التي تحمل صفة النسوية أن تكون معنية سواء كلها أم جزء منها بطرح قضية المرأة بالمعنى الجنسوي وليس كتصنيف طبيعي لوجود شخصيات من الرجال، أو النساء داخل العمل الروائي، وبصرف النظر عن كاتبها سواء كان رجلا أو امرأة. لذلك نرى أن الكثير من الإبداع الروائي الذي كتبته المرأة لا يندرج تحت ما يسمى بالرواية النسوية؛ كونها ليست مسكونة بهاجس طرح قضية المرأة، وإن كانت المرأة تحتل مكانة متميزة بين شخصياتها، ومن هذا المنطلق يمكن القول بإن طرح قضية المرأة لم يبدأ فعلياً وبصورة واضحة في الرواية العربية إلا في منتصف الخمسينات ولعل روايات ليلى بعلبكي وكوليت خوري تعدان من أوائل الاعمال الروائية التي رصدت قضية المرأة. (أبونضال، 2004 ، 11)

ومنذ ذلك الحين فقد أصبح صوت المرأة عنصراً مهماً في العملية الروائية وعن طريقه نلمح وجهة نظر المجتمع إلى المرأة في علاقاتها اليومية وأصبح حضور المرأة في الروايات جوهرياً من غير ممكن الاستغناء عنه. ونجد أن بن شتوان رصدت لنا صوراً متعددة للمرأة، امرأة مقترنة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الليبي وهذه الصور وإن كانت تحمل صوتاً فردياً ولكنها تعبر عن حالة اجتماعية ككل كما أن مواقف النساء، ووجهات نظرهن تختلف تجاه ما يعتريهن من الآلام والحرمان والاستلاب، وتُبرز صوت المرأة وموقفها مما تعانيها وتواجهها من الاستلاب والظلم في روايات بن شتوان في صور متعددة تتوقف عند مستويين من العرض السردي يمثل الأول: صوت المرأة الممتثلة والثاني: صوت المرأة المقاومة

2-1 صوت المرأة الممتثلة

حظي هذا الصوت بمكانته في لغة الروايات، ولعل زرايب العبيد أهمها، ولكونه صوت امرأة مقموعة وغير رافضة فيه ارتأت الدراسة على الحاق صفة الممتثلة للمرأة فيه. فهي ممتثلة لحالتها الاستلابية كونها على دراية وإدراك بما يواجهها وتشعر به من ظلم؛ ولكنها لسببٍ أو لآخر ممتثلة لذلك الاستلاب، ويمكن القول: إنها مندمجة مع واقعها فهي امرأة تتبع الأوامر، والقوانين ولا تشعر بذاتها وكيانها هذا إلى جانب عدم ثقتها بنفسها وقدراتها، فلا تملك إرادة اتخاذ القرارات التي تخصها هي، بل تسمح للآخرين للتحكم في مصيرها، وهي منقطعة عن الانتماء إلى نفسه لا تطمع إلى شيء؛ بل همها يكمن في إرضاء الآخرين ليس لديها أي أمل أو حلم يربطها بذاتها فهي على وشك أن تُطمس شخصيتها من قِبل الآخرين. وهذا ما يطابق تماماً مع تعويضة الشخصية الرئيسة في رواية زرايب العبيد، وهي جارية تتعرض للإهانة والإذلال والاستلاب، ومع هذا لا تفعل شيئاً ولا تحرك ساكناً لرفض هذا الواقع المرير، فيتجلى صوتها في الرواية، وهي متمثلة لحالتها على وفق لغة وتراكيب وظفتها الروائية لعرض حالتها، لتكون مشحونة بالاستلاب والظلم، فحين تنقل لنا الساردة صوتها في**"نالت تعويضة حصتها من البرد وندرة الطعام، ....وصارت تعويضة لتأكل عليها انتظار مجيئه وإلا فلن يُلقى لها إلا بالفضلات أو الفتات. تسببت رطوبة الحجرة في إصابة رئتيها بالتهاب، .....كأن الاستسلام الإنسان لمحنته يمنحه المناعة ضد التأثر بها ما كانت تبكي منه تعويضة لم يعد يبكيها، وما كانت تستاء منه لم يعد يسيء إليها وما كان يحزنها لم يعد أكثر من ممارسة يومية مثل الصلاة، كان كل همها هو الحصول على الشراب أكثر من الطعام والانكفاء بعيداً عن أي حدث وكأنها غير موجودة في هذا العالم".**(بن شتوان، 2017 ، 302)

نرى أن الساردة قد وظفت لغة مليئة بكلمات معبرة عن الاستلاب وعبر اللغة يتبين لنا أن الشخصية على الرغم من واقعها المرير؛ إلا أنها ممتثلة راضية، وعبارات من قبيل:(كأن الاستسلام الإنسان لمحنته، والانكفاء بعيداً عن أي حدث)، فيما تدل على أنها تمثلت لتلك الحالة، أما الكلمات فإنها تحمل عمق الآلام والمعاناة للشخصية وتمثلها فضلاً عن صوت الشخصية الواضح فهي لا تقاوم لرفض واقعها وحالتها الاستلابية؛ وذلك حين تتسنى لها فرصة نجاة من العبودية وذلك بمحض صدفة، ولكنها على الرغم من نجاتها والحصول على حريتها ترجع إلى القصر الذي كانت عبدة مملوكة فيه، وهذا دليل قاطع على أن الشخصية كانت ممتثلة لحالتها الاستلابية، ولا تملك من الإرادة ما يمكنها الخروج من عالمها المعادي.

والصوت نفسه يتجلى في رواية (كونشيرتو قورينا إدوارد) وقد تمثل في صوت إحدى الشخصيات، آمنة، التي لحقها الاستلاب الفكري ولم تعد تشعر بإنسانيتها، ولا تطمع إلى شيء سوى الزواج والأولاد وهذا ما يخالف المرأة الواعية والمثقفة والساردة تنقل للمتلقي تلك الحالة المزرية، وتصفها بكلمات وعبارات تدل على عمق الاستلاب والاغتراب الذي تشعر به الشخصية وهي تقول:**" أرادت أمينة أن تتزوج وتصبح سيدة بيت وزوج وأطفال، لم نعرف لها اهتماما**

آخر و....، طموحها الذي يشبه طموح نعجة إلى التكاثر"(بن شتوان ، 2022 ، 120)فهذا رأي الكثير من النساء اللائي ليس لديهن أي هدف، أو حلم في حياتهن سوى الزواج إذن، هو صوت امرأة ضعيفة وغير واعية تعيش ممتثلة الاستلاب والحرمان.

3-1 صوت المرأة المقاوم

المقاومة بمعناها العام القوة المعاكسة، وفيما تعنيه كذلك الوقوف في وجه الظلم والاستبداد؛ بصرف الطرف عن نوعية وكمية هذا الظلم وإثبات حضور مستقل وحر، فالمرأة المقاومة: هي المرأة التي لا تقبل بالهامشية، وتسعى جاهدة؛ لكي تحقق ما تريدها فهي امرأة تثق بنفسها وقدراتها، ومستعدة كي تواجه جميع الصعوبات؛ لأجل تحقيق كيانها وذاتها والعيش بكرامة والاستقلال كما أنها ترفض التمييز ضد المرأة، والتنازل عن حقوقها الأساسية، وقادرة على اتخاذ مواقف صريحة وواضحة، تقاوم وتدافع عن قناعاتها بدقة، فهي ترفض الظلم والإهانة والإذلال وهذا النمط من الأصوات موجود في الروايات المدروسة ويتجلى في صوت شخصية عيدة إحدى الخادمات، إذ نجدها ترفض الإنجاب، وتحاول التحرر من العبودية بلغة تصف رفضها ووعيها بما تعيشها مع زوجها وهي تقول**" إنني لا أرغب في إنجاب أطفال ونحن لا نزال عبيداً. ببساطة يعني ذلك أن يرثوا عبوديتنا، ونحن حقاً نكره ذلك"**(بن شتوان، 317، 2017)

فالمرأة هنا عبارة عن مقاومة ووعي، ورفض وعدم الاستمرار في العيش بصفة عبدة والصوت نفسه يتجلى في رواية(وبر الأحصنة) وهي صوت شخصية سيلين الطفلة الصغيرة التي تزال في بطن أمها واستخدمت الساردة أسلوباً رمزياً لترفع به صوت المرأة، وهي رافضة ما يفرض عليها من المجتمع. من ظلم وقهر فتقول" **لا أريد أن أولد أنثى في عالم متنمر، ....، إن حمله مسؤولية جسيمة ألا تعرفون أين وضعتموني، إنكم تصعّبون علي الحياة هنا به "**(بن شتوان، 2020 ، 110) فصوت المرأة واضحة وهي ترفض قيود، وما تتعرض لها المرأة في المجتمع، وقد عبرت الساردة عن موقف المرأة الواعية لما تفرض عليها من الاستلاب والإذلال عبر كلمات قوية، ومؤثرة على وفق قولها:(لا أريد) فالمرأة هنا صاحبة رأي وتبدي رأيها تجاه المجتمع الذكوري وتعرف حقوقها وواعية بما لها وبما عليها ولا ترضى بأقل مما تستحقه.

2 سردية اللغة الساخرة والاستلاب

تُعدّ السخرية أسلوباً فكرياً، وأخلاقياً يتجلى في مختلف الأجناس الأدبية، سواء كانت مقالاً أم مسرحاً أم رواية، وهذه الأخيرة عينة دراستنا ألا وهي اللغة الساخرة في الرواية، أي اللغة التي تأخذ طابع السخرية وتتلون به. ولعلّه من الصعوبة تعريف السخرية؛ كونها ترتبط بمجموعة من المفاهيم المتداخلة والتي قد تبدو متقاربة من قبيل: الفكاهة، والتهكم، والاستهزاء، والهجاء والهزل، فهي جميعها تشترك في هدف إثارة الضحك؛ إلا أن السخرية في الأدب تتجاوز الإضحاك المجرد لغاية أعمق وأشمل؛ فالروائي حين يوظف لغة ساخرة، يسعى من خلالها إلى تسليط الضوء على معاناة النفس الانسانية، سواء كانت فردية ذاتية أم جمعية مجتمعية، ويهدف إلى الاصلاح والتطوير، وكشف العيوب والمشكلات الاجتماعية والسياسية. وغالباً ما يلجأ الروائي إلى التلميح والتعبير غير المباشر في سخريته، مما يجعل السخرية أكثر من مجرد أسلوب بلاغي؛ إنها اتجاه فكري له دلالات متعددة يمكن استنباطها عن طريق العمل الأدبي. ا(لهوال، 1982 ، 30-31)

والسخرية في جوهرها تعدّ "شكلاً خطابياً يكون فيه المعنى مناقضاً للكلمات". كماهي "تعبير عن معنى بلغة ذات نزوع متعارض أو مختلف". إذن، السخرية تعني" البكاء بقهقهة الضحك، والضحك بعويل البكاء" ومن هذا المنطلق يمكن القول إن السخرية ظاهرة معقدة.(ذاكر، 2000 ، 10) تتطلب استعداداً عقلياً بالدرجة الأولى، فالضحك والتهكم من الوسائل التي تقدم العقل على العاطفة، وتدعو إلى قدر وافر من التجرد، والنقد هذا إلى جانب إمكانية ملاحظة الأضداد،

والجمع بينها مع إعادة تشكيلها فهي مهارة تتطلب وجود حس المفارقة والشعور بها، فعلى الروائي أن يكوّن من لغته الساخرة لغة عفوية، بعيدة عن التصنع لكون السخرية ليست موهبة فطرية فحسب أو استعداداً طبيعياً لدى الشخص؛ بل هي تستلزم فهماً عميقاً للمجتمع وتحولا ته، وإدراكاً دقيقاً لتغيراته. كما تتطلب حساً أدبياً مرهفاً، وقدرة على التعبير بأسلوب ذكي وتصوير بارع. وبما أنها شكل من أشكال النقد، فهي بحاجة إلى أسس معرفية، ومعايير محددة، ومنطق خاص في التناول والمعالجة؛ كونها فن إبراز الحقائق المتناقضة، والأفكار السلبية في صور تغري بمقاومتها والرد عليها وإيقاف مفعولها من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر.(الهوال، 1982، 69 +35)

إذن هي لغة واصفة ناقدة تتميز اللغة الساخرة بطبيعتها المعقدة والمتعددة المستويات، حيث تقدم معاني تتجاوز المعنى الحرفي المباشر للكلمات. وحتى يتمكن المتلقي من فهم القصد المراد من النص الساخر، عليه أن يقلّب العبارات في إطارها الكامل ويتأمل في دلالا تها بعمق؛ باحثاً في المفارقة اللفظية والدلالات الرمزية والإشارية، حيث يظهر النص معنىً سطحياً، بينما يضمر في طياته معنىً مختلفاً وغالباً ما يكون مناقضاً لما يبدو عليه في الظاهر.(العبد، 2008، 54)

نفهم مما تقدم أن اللغة الساخرة هي لغة مخادعة، على رغم من أنها وسيلة مهمة للتعبير عن مشكلات المجتمع وهمومه ولكي تكون السخرية مرآة لمعاناة المجتمع ومعبرة عنه، يتطلب من كاتب النص الروائي فهمًا عميقًا للواقع من حوله ليتمكن من نقد السلبيات وكشف العيوب، بهدف تحسين المجتمع. فالروائي الذي يتخذ لغة ساخرة يستخدم أسلوباً مميزاً في التعبير عن رأيه في المشكلات الاجتماعية، أو الظروف المعيشية الصعبة، أو النظام السياسي السائد، مستخدماً في ذلك التهكم الهادف. ولكي ينجح في ذلك؛ يعتمد على مهاراته في استخدام اللغة بطريقة جذّابة تثير إعجاب المتلقي، وتجعله يتفاعل مع ما يكتب. كما نلاحظ أن مضامين السخرية وأنواعها تختلف تبعاً لاختلاف الثقافات، فما يعد عيباً ويستدعي السخرية والنقد في مجتمع من مجتمعات الشرق الأوسط؛ قد لا يعدّ عيباً ولا يستدعي سخرية ونقد في مجتمع أوروبي لذلك؛ لذلك نجد من الصعب تحديد وحصر مضامين السخرية وأنواعها. ومن الجدير بالذكر، أن الفضاء الروائي في روايات بن شتوان ليس فضاءا ساخراً محضًا، والسخرية لا تشكّل أحداث الروايات فيها، إلا أنها وردت على وفق(لغة السرد العليا)، بمعنى أن السخرية ليست ملموسة واضحة للمتلقي، وهو الأسلوب الذي تميزت به كتابات بن شتوان، بل هي سخرية شفيفة منسابة لا تتمثل إلا مقرونة بالاستلاب، ومغلفة بالرمزية والإيحاء المناسبين.

إذن، هي سخرية ناقدة قصدت الكثير من الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع الليبي، لذا يجدر بنا التوقف والتعمّق عندها، ويمكننا إلى حدّ ما تسميتها بـ(اللغة الساخرة الاجتماعية) وربطها بموضوع الاستلاب بأنواعه الشتى، لذا خصص المطلب الأول من هذا الجانب البحثي لطرح تلك الحالات الاجتماعية التي تعبر عن استلاب الشخصيات بلغة ساخرة شفيفة تستدعي التأمل وتقلّب عباراتها والدراسة لفهمها ومدى معالجتها لتلك القضايا الاجتماعية.

1-2 اللغة الساخرة الاجتماعية

نريد باللغة الساخرة الاجتماعية تلك اللغة التي يوظفها الروائي لرصد القضايا الاجتماعية ونقدها، والتي تعبر عن الاستلاب في مضمونها، عبر لغة ساخرة ومفردات رمزية، وتراكيب لا تستدعي في ظاهرها السخرية إلّا أن الظروف والسياق الذي ترد فيه هو ما يجعلها تأخذ ذلك الطابع من السخرية وتتضمن في مضامينها الكثير من الظلم، والحرمان، والاغتراب فوظفت الروايات أساليب وطرق مختلفة للسخرية في التعبير عن عوز والاغتراب إذ نجدها تصف بلغة ساخرة حالة الشخصيات وما يتعرضن له من الظلم والتهميش، والقهر والإقصاء وكل هذا بلغة ساخرة ومن أهم القضايا التي تناولتها الروايات هي قضية (فوارق الطبقات الاجتماعية) واستلاب الحقوق الإنسانية من بعض طبقات وحرمانهم

من حقوقهم الإنسانية والأولية، فهذا واضح من كلام الساردة حين تنقل لنا" **"كان حقاً ثمناً قاسياً لرؤية وجهي في المرآة، .....، وأنني بكيت به لما عاقبتني عمتي، وأنه لن يزيد ولن ينقص ولن يتبدل ما حييت "(بن شتوان، 2017، 37).**

فالمتلقي حين يطالع هذه السطور يتصور، أن تلك الفتاة قد ارتكبت جريمة وإلا كيف تعاقبها عمتها والتي هي في الحقيقة أمها بهذا العقاب؛ إلا أن الرواية تبين أن الجريمة الوحيدة التي ارتكبتها تلك الفتاة تمثلت في كونها مشت آلاف الخطوات، لمجرد غاية الحصول على (مرآة) ترى فيها وجهها فحسب. فهي تعيش في الزرايب وداخل هذه المنطقة لا توجد إلّا مرآة واحدة حسب، تمتلكها فتاة واحدة والذي يريد أن يرى وجها؛ عليه أن يدفع لتلك الفتاة مبلغاً من المال ثمنًا لذلك، وأن تتم العملية بسرية تامة، فكل هذه التدابير مقابل مرآة؟! يتضح لنا من ذلك ضنك العيش، والعوز والفقر والمعاناة التي يعيشها أهل الزرايب، بينما أهل بنغازي والمدن الأخرى يعيشون في رفاهية ومرح. والرواية تنتقد تلك الفوارق الطبقية التي كانت ولا تزال سائدة في المجتمعات، إلا أنها لم توظف أسلوباً مباشراً أو لغة عنف في نقد ورصد هذه القضية، بل على العكس تماماً نجدها قد جنحت إلى استدعاء تراكيب ومفردات مشحونة بطابع من السخرية، تنقد بها قضية الفوارق الطبقية تلك، وفق لغة ساخرة مخفية وليست صريحة صارخة، مستفيدة في إيضاح بعدها من ذلك النسق الذي تنطق به في العمل الروائي، والذي مثلته الرواية في النص السابق، من قبيل: تفاهة الأمر وبساطة الموضوع من جانب، وشدة العقاب والعذاب الذي تعرّضت له الشخصية من جانب آخر، فمن السخرية أن تعاقب فتاة لأنها أرادت أن ترى وجهها، والذي يزيد الأمر سخرية ويستدعي النقد هو عدم وجود مرآة في الزرايب في زمن الرواية.

كما تناولت رواية(كونشيرتو قورينا إدوارد) الكثير من القضايا الاجتماعية المطروحة بلغة ساخرة، شفيفة غير ملموسة، إلا أنها تتضمن من الكشف الشيء الكثير، فتقول الساردة :**"سعى إلى هدنة كما يفعل دائما واستخدم طعم السفر، الحج والعمرة تحديدًا، .....، سيكون بوسعهما دعاء الله عن قرب بكل ما أراداه وتعذر حصولهما عليه في ليبيا**

-هل تمزح يا جدي ؟ ثلاث مئة دولار فقط ! هل سيسمعني الله بثلاث مئة دولار فقط ! حتى الشيطان لن يرضى أن أرجمه بهذا المبلغ المخزي

-استر لي أن أدعوه هنا ببلاش على أن أذهب إلى السعودية لكي أدعوه بثلاث مئة دولار فقط، ....."(بن شتوان، 2022 ، 99)

النص تتحدث عن فتاة مراهقة تعاني من اضطرابات فكرية فاستخدم الساردة لغة ساخرة مشحونة بمعاني الاستلاب والضياع وتشتت في الوقت نفسه تكمن سخرية هذا النص في عبارات ذكرتها الرواية وتكمن في كون الفناة ليست راضية ومنسجمة مع واقعها وتسخر من فكرة الرسوم المفروضة على الحج الحج فتعبر عن رفضها بسخرية ترافقها الحرمان والذل والمعاناة التي كانت تتعرض له الشخصية جراء ثورة الاشتراكية في ليبيا.

والأمر ذاته نشخصه في قول الساردة:**"أن السيارات التي تعمل بالنافتا .....عليها التخلي عنها.... ، ثم تقترح على ناتاشا بكل ثقة أن تبيعها إياها لوالدها مع شيء من المساعدة في السعر"(بن شتوان، 2021 ، 115)** فالمتلقي عندما يطالع النص لا يشعر أن اللغة التي تسرد بها الحادثة الساردة هي لغة ساخرة، ولكن عندما يتعمق ويعرف تفاصيل الرواية، والسياق الذي جاءت فيه العبارات يتبين له أن السيدة عندما تقترح على ناتاشا أن تبيعها سيارتها فهي تسخر منها وتود تذكيرها بأنها فتاة فقيرة بحاجة إلى الأموال، كون السيدة تعرف جيدًا الوضع الاقتصادي السيء الذي تمر به ناتاشا وعائلتها.

إذن الظرف والسياق الذي ورد فيه النص هو الذي جعل من اللغة لغة ساخرة تنقد بها الرواية الفوارق الطبقية، تلك الطبقية التي جعلت من الفقراء في خدمة الأغنياء.

2-2 سرد التفاصيل الصغيرة

عرفت الرواية العربية تحولات وتغيرات جديدة، أخرجتها من تقليدية البناء والأفكار إلى تشكيلات جديدة تتناسب مع معطيات المرحلة الراهنة ومرحلة ما بعد الحداثة، التي تتميز بـ"بفلسفة الفوضى والتفكيك والعدمية واللانظام واللامعنى، والتحرر من قيود التمركز، والانفكاك والتقليد، وممارسة كتابة الاختلاف والهدم والتشريح والانفتاح على الغير عبر الحوار والتفاعل والتناص ومحاربة لغة البنية والانغلاق والانطواء، وتعرية الإيديولوجيا البيضاء، والاهتمام بالمدنس والهامش والغريب"(حمداوي، 2011 ، 33) .

ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة والميل إلى الوصف الباهر مع السرد والحوار هي سمة من سمات الرواية الجديدة، ورواية ما بعد الحداثة، إذ نجد، أن الرواية الحديثة والمعاصرة تتجه على نحو ملحوظ إلى الإسهاب في ذكر التفاصيل المتعلقة بقصة الرواية، ونمو أحداثها وذكر ما يدور في ذهن الشخصيات، فضلاً عما يرتبط بتفاصيل وصف الأمكنة والأزمنة الروائية. ذلك لأن التفاصيل الصغيرة وسيلة مهمة لجذب المتلقي وشده نحو النص، وإيهامه بأنه في عالم حقيقي، وليس من صنع خيال الروائي "إذ إنه لا يثبت الموقف أو الشخص كحقيقة مثل التفاصيل المتصلة بها. وكلما دقّقت أسرع القارئ إلى تصديقها."(ذويب، 381)

وبعد قراءة ودراسة الروايات عينة الدراسة نجد أن الروايات قد اهتمت بذكر التفاصيل الصغيرة والهامشية، وقد أولت اهتماماً شديداً لذلك، والتي تعكس الثقافة البسيطة للساردة؛ لأن الساردة في جميع الروايات هي إنسانة مهمشة تتعرض للاستلاب والإذلال؛ لذلك نجد أنها تنظر إلى الحياة نظرة بسيطة وسطحية وتعطي أهمية للتفاصيل الصغيرة والبسيطة، والأمر ذاته نشخّصه في قول الساردة حين تقول:"**كان المقصود من عملية الإقفال التصدي لوسوسة الشيطان قبل الزواج..... ما يفعلونه في هذا الصدد يسمّى التقفيل، أشبه بتعويذة سحرية....."(بن شتوان، 2017 ، 43 ، 44)** تكمن أهمية التفاصيل الصغيرة في هذا النص في أنها تسلط الضوء على موضوع مهمش ومنبوذ، وهو موضوع عملية تقفيل أرحام البنات، ولهذه الموضوعات وللتفاصيل الصغيرة أهمية كبيرة؛ كونها دالة على عمق الموضوع وما يمثله للساردة من استلاب مروع، على وفق ما يحمله مضمونها، وما عاشتها الشخصية من ظلم اجتماعي، واستلاب هوية الوجود الإنساني الذي تنتمي له، فضلًا عن ذلك، فإن الساردة في رواية(كونشيرتو قورينا إدوارد) تذكر لنا فيما تروي إلى جانب الأحداث أوصافًا بالتفاصيل الدقيقة للأشياء، وهذا واضح من كلام الساردة حين تصف حالة إحدى شخصيات الرواية، وتقول:" **أمينة التي زادت قائمة ممنوعاتها فقاطعت معجون الأسنان لأن الشركة المصنعة تدعم بناء المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين ...، ثم قاطعت الكاكاو والشوكولاته .....، ثم امتنعت عن وضع المكياج في عرسها..... استمرت حملة أمينة في المقاطعة فشملت منتجات الحلويات والمرطبات، .....قاطعت مشاهدة الأفلام وسماع الأغاني والغسل بالشامبو ولبس الملون وتحولت إلى كتلة من القماش الأسود لا يبين منها إلا وجهها "(بن شتوان، 2020 ، 140)**

نلاحظ أن الرواية دخلت في أدق التفاصيل الصغيرة والتي تعد واحدة من معالم وسمات رواية ما بعد الحداثة، كما سبق ذكرها، فكما هو واضح أن رواية (كونشيرتوقورينا إدوارد) هي من الأعمال الروائية التي يمكن عدّها من روايات ما بعد الحداثة، إذ نجدها تصور جميع الاضطرابات الفكرية التي أصابت الشخصية، والتي تعكس الاستلاب الفكري والتشتت والضياع الذي تعرضت له الشخصية الروائية. كما لا تخلو رواية (وبر الحصنة) من التفاصيل الصغيرة إذ نجد الساردة تقول:" **فتش عما يعود به لكن الناس لم يتركوا له شيئاً، إنهم ينهبون أي شيء .....، كانت فتاة لم تتجاوز الثالثة عشر عاماً، .... استقبلتها بالمعصدة ومنعتها من دخول الدار أرسل الشيخ محمد_اليتيم الخادمة مع أحد أطفاله إلى**

بيت نسيبته وأوصى الطفل ألا يخبر جدته شيئاً عن حقيقة الخادمة"(بن شتوان، 2020 ، 83) نطالع أن الساردة تقص حادثة، وتسهب فيها، فسيلين الفتاة التي لا تزال في بطن أمها، وظفت الرواية لها أسلوباً فيه من الرمزية ما فيه، وكأنها تقول: أن الساردة فتاة مظلومة، لم تخرج إلى العالم بعد، وليس لديها أية فكرة أو تجارب فيه؛ لذلك تكونت في كيانها وذهنها الشخصية البسيطة والسطحية مما جعلها تذكر التفاصيل غير مهمة وغير مجدية في نظر العالم المعيش، فالتفاصيل التي كانت غير مجدية في الرواية الكلاسيكية والتي كانت الروايات ترفع عنها وتهمشها ها هي هنا تجد مكانتها التي تستحق الاشارة إليها ذلك ضمن ما يمكن تسميته بصعود الهامش إلى المتن وأي هامش يفوق هامش المستلب والمخذول من المركز القاهر والسالب لحقوق الآخرين.

3 اللغة الشعرية وتمثلات الاستلاب

بيّنا فيما سبق أن اللغة أداة، تعبر بها الذوات عن أفكارها، كما أنها أداة تواصل بين أفراد المجتمع، ولعل اللغة التي نستعملها نحن في حياتنا اليومية، هي لغة العيش المشترك ولغة الحياة اليومية في الشارع والمؤسسات الغرض منها التبليغ وتوصيل رسالة ما إلى المتلقي، ذلك يحتم عليها أن تضم ألفاظًا وتراكيب مألوفة، وواضحة من دون غموض أو إبهام. وهو مما يتجاوز لغة الأدب التي تتميز فيما تتميز بالرصانة والعمق والأحاسيس التي تجنس الكتابات والأقوال الأدبية، إلا في الرواية وإن كانت أدبية إلا أنها تتمتع بصفات خاصة، فاللغة الروائية مرت بمراحل عديدة، حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن، ففي بدايتها كانت لغة بسيطة وواضحة خالية من التعقيد؛ باعتبار أن الرواية خطاب موجه إلى شرائح المجتمع كافة ، إلا أن الروائي العربي الحديث أصبح يرتقي بلغته في سرده الروائي، من المستوى التبليغي إلى المستوى الشعري الساند لفعل القص والحكي ؛ لتتحول اللغة من اللغة العادية، إلى اللغة الشعرية وتكون غرضها فضلاً عن تبليغ الرسالة إلى المتلقي هو التأثير في نفس المتلقي. فالرواية عبر اللغة الشعرية تصور المشاهد بلغة تلفت النظر، وتثير الإعجاب بتأثيرها في نفس المتلقي.(قربان زادة، 2022 ، 94) فلها " استعمالها الخاص للغة، بحيث تخرج الكلمات فيها عن دلالتها المعجمية؛ لتؤدي دوراً يضفي على العملية الشعرية قيمة فنية وجمالية." كما تتميز بمجموعة من الخصائص التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً جمالياً، وتعطيه الفرادة والتميز." (محمود، ، 2010، 26، 27)

إذن اللغة الشعرية هي اللغة التي تتسم بالندرة، والتفرد وتتجاوز حدود المألوف، ولا تخضع للقوالب المستهلكة. (كوين، 1990، 35) والشعرية خاصية تشمل جميع الأجناس الأدبية، شعراً كانت أم نثراً، إذ ليس شرطاً أن تكون اللغة الشعرية ذات حضور فني في الشعر وحسب، بل تتعلق الصفة الشعرية بالأدب سواء كان في الشعر أم غيره، بل تكاد تكون متعلقة على الخصوص بأعمال نثرية. ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن مهمة الشعرية لم تعد محصورة في النصوص الشعرية فحسب؛ بل في النصوص الأدبية كلها. فالشعرية تهتم بأدبية الأدب أي أدبية النص أو العمل الأدبي متجاوزين كل السياقات الخارجية، بمعنى أنها تسعى إلى دراسة السمات والخصائص التي تجعل من نص ما نصاً شعرياً، فضلاً عن دراسة الخصائص التي تصنع فرادة الحدث الأدبي.(طودروف، 1990 ، 23).

أما اللغة الشعرية الروائية فيراد بها "تلك اللغة التي تتداخل مع مقومات الجنس الشعري لتسلبه أخص مقوماته الفنية والتركيبية والبنائية محولة إياها عن طريق المعارضة إلى نص الروائي المفارق في أسلوبه ودلالته" (طلبة، ، 2008 ، 60) يتبين لنا ممّا تقدم أن اللغة الشعرية لغة إبداعية تتسم بالتكثيف، والاختزال والغرابة، وتتجاوز المألوف لتخلق تآلفات جديدة ومدهشة. تتميز بقدرتها على إثارة الدهشة وترك الأثر في نفس المتلقي، مستثمرة كل ما تتيحه اللغة من إمكانات تعبيرية كالمجاز والاستعارة، والأسطورة والرمز، وما تحمله من طاقات تجريدية، وجمالية، وفكرية.(حسون، 2009، 268) كما نجد ان اللغة الشعرية حاضرة على نحو أوسع وأوضح في الرواية العربية الحديثة، فالرواية الجديدة"

تتخذ لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل"(مرتاض، 91، 1990) لذلك يمكننا القول إن اللغة الشعرية في الرواية هي من إحدى سمات أدب ما بعد الحداثة، إذ ترافق ذلك مع التحول الذي طرأ على الأدب بصورة عامة وعلى الرواية على وجه الخصوص، فوظفت الرواية الحديثة اللغة الشعرية بهدف استخدام سحرها وجمالها وتوترها لتمارس تأثيرها في المتلقي.

يتبين لنا مما تقدم أن لغة الرواية الجديدة لا تهتم بالحبكة، والشخصيات أو الزمن والمكان فحسب؛ بل تهتم بشعرية اللغة التي تصف بها الشخصيات، وتسرد بها الأحداث، ومدى تأثرها في النفس المتلقي؛ بتجاوز القواعد المألوفة والانزياح عنها. ومما لاشك فيه أن لكل كاتب أسلوبه الخاص وهذا الأسلوب هو ما يحدد شكل اللغة التي يستخدمها. فالكاتب يمتلك حرية اختيار أدواته الفنية التي تمكنه من تشكيل متن روايته. كما أن ثقافة الكاتب، وموقفه الفكري يؤثران بوضوح في طبيعة الأدوات التي يستخدمها. وبعد قراءة ودراسة الروايات التي هي عينة الدراسة وجدنا أن بعض روايات بن شتوان تعد نموذجاً بارزاً للنص الروائي المتوهج بالشعرية، فاستطاعت أن تتجاوز اللغة النثرية التقليدية وتقترب من الشعر في كثافته، وإيحاءاته، وصوره، كون اللغة عند نجوى بن شتوان ليست مجرد وعاء للمحتوى؛ بل هي فضاء إبداعي يحمل في طياته رؤيتها للذات والعالم، ويجسد موقفها من القضايا المصيرية، من قبيل: المرأة والمجتمع والتاريخ والهوية.

تكمن أهمية دراسة هذا المبحث في كونها تسعى لتفكيك آليات اشتغال اللغة الشعرية في روايات بن شتوان، وتسليط الضوء على البعد الدلالي بما أتيح للمتن الروائي من أدوات أسلوبية وخصائص بلاغية، تمنح النص بعدًا جماليًا يتميز بالكثافة، والغموض، والانزياح والتشبيه والمعاني الشعرية، فضلاً عن اتساع معجمها اللغوي الذي يمكنها من سرد الاستلاب والاغتراب والضياع وتمثيله بطاقة مؤثرة في المتلقي.

1-3 شعرية المعجم والتركيب

يراد بشعرية المعجم السردي كيفية إعادة تشكيل الألفاظ والكلمات على وفق معايير جمالية وفنية، إذ تجعل من الألفاظ ذات دلالات إيحائية مشحونة بالعاطفة. فالكلمة التي توظف داخل النص الأدبي لا تلتزم بمعناها المعجمي المجرد؛ بل ترتقي إلى مستويات الجمال والشعرية وفي الحالة هذه يسيطر الطبع الشعري على النصوص السردية وتكون المقاطع السردية ذات اللغة التقريرية مشحونة بمعانٍ شعرية وجمالية. وبما أن لكل كاتب طريقته، وأسلوبه الخاص في كيفية تعامله مع الألفاظ، فالروائي بإمكانه أن يجعل من الكلمة ذات قوة مؤثرة في متن النص السردي. هذا إلى جانب الكيفية التي تخلق الترابط والعلاقة بين الكلمات، الأمر الذي يصيّر تماسكًا بين الكلمة مع الكلمات التي تجاورها. ومن النصوص التي أخذت فيها الكلمات طابعاً شعرياً، ومشحونة بقوة العاطفة المؤثرة وتحمل في طياتها الاستلاب والحرمان؛ تلك التي تتحدث فيها الساردة عن شخصية (مفتاح) الذي تخلت عنه أمه خوفاً من عائلته كونه ابناً غير شرعي هرب أبوه، من مسؤولية الأبوة، وبعد مرور سنوات تحاول الأم استعادة ابنها مفتاح دون أن يشعر بذلك أحد في الوقت الذي تعامل الجميع معه بقسوة، فيعيش في الظلم والحرمان والإهانة مجدداً، فتقول الساردة **"هل هو يتيم الأبوين أم يتيم الزمان"(بن شتوان، 2017 ، 84)** فالمتلقي عندما يطالع عبارة **(يتيم الزمان)** يشعر بقوة التركيب ويتصور ما في الحياة من ظلم مفتاح وما كان يعانيه هذا الطفل من قسوة. والساردة وظفت أسلوباً رمزياً؛ كي تجعل من المتلقي يتعاطف مع النص. لأنها عبرت عن الآلام، والحرمان، والاستلاب الهوية للشخصية بلغة شعرية ورمزية مكثفة، وابتعدت عن الخطاب المباشر ليزداد تأثير النص في المتلقي، فلو عبر شخص آخر عن حالة مفتاح لقال هل هو يتيم أم

أن أبواه على قيد الحياة؟ إلا أن الساردة وظفت أسلوباً رمزياً مكثفاً اختصرت به كل ظلم، وذل، الذي ذاقه الفتى مفتاح منذ ولادته.

مما يعزز البعد الشعري هو ذلك الأسلوب الذي مثلته رواية (كونشيرتو قورينا إدوارد) بشعرية لغتها وقد وظفت الرواية إلى جانب الأساليب السابقة ذكرها من قبيل اللغة المركزة ، والكثيفة والغنية هو ذلك الإيحاء الذي يمده النص للمتلقي عبر الصور البصرية لرسم المشاهد والشخصيات، هذا إلى جانب عنايتها الشديدة وحرصها على تناسق وانسجام الكلمات من حيث الإيقاع اللغوي، فنجد أن إيقاع الكلمة توافق الأحداث والحالات النفسية للشخصيات في تمثلها الاستلاب والإهانة التي تواجه الشخصيات الروائية، فحين تنقل لنا الساردة الوضع النفسي والظلم الذي تعرضت له الشخصية جراء الثورة الاشتراكية في ليبيا وظفت كلمات تكون إيقاعها متناسبة مع الوضع النفسي للشخصية، فتقول: **"تراجعت عائلتنا إلى الوراء لكن أبي المكلوم لم يتراجع"(بن شتوان، 50، 2022)** نلاحظ أن الساردة وصفت شعور أبيها بـ (المكلوم) والتي تعني الإنسان الجريح (إبن منظور، 1414هـ، 524) لتعبر بها عن عمق وشدة الحزن والصدمة النفسية. وهي ما يتناسب تماماً مع ما تعانيه الشخصية المستلبة الحقوق، لأنه يشعر بالإحباط والتدهور النفسي، والساردة عبرت عن ذلك بكلمة فيها شعرية إذ تجعل من المتلقي يتفاعل معه، ويتعاطف معه، لأن الكلمة تترك أثرها على نفسية المتلقي. كما استعرضنا تجليات اللغة الشعرية في رواية كونشيرتو قورينا إدوارد، نطالع ما يتقارب معه في العموميات ويفترق في بعض الخصوصيات في رواية (وبر الأحصنة)، والكيفية التي وظفت بها الرواية اللغة الشعرية لسرد الأحداث، ووصف الأمكنة والأزمنة فيها، فتوظف الساردة اللغة الشعرية في قولها: " **حين تقول له: صف لي علاجاً، يرد عليها: علاجك أن تتكلم عما يضايقك وعما يفرحك، أن تجدي روحاً صديقة تنصت إليك وتنصتين إليها، علاجك أن تعيشي، أن تحبي وتحبي، ولا تكوني غريبة في مكانك جل ما أرادته أمي أن تجلس وتتكلم بصدق وراحة، وأن تنصت إليها، وألا تعاقب على أقوالها فيما بعد أو تحول ما باحت إلى سبب لقهرها وإيلامها، " (بن شتوان، 146، 2020)**

تكمن شعرية اللغة في هذا النص في أن الساردة عبرت عن فلسفة وقضية نفسية مهمة جداً بتكثيف وإيجاز واضحين، ففي عبارة:(علاجك أن تعيشي) نجدها قد اختصرت كلّ ما تحتاج إليه المرأة لكي تشعر بالأمان والسعادة فضلاً عن إمكانية الجمع بين الضدين في آن واحد في عبارة (عما يضايقك وعما يفرحك) فإنها وظفت التقابل بوصفه فناً بلاغياً في القول السردي مما يزيد جمالية النص الشعري، فضلا عن استحضار مفردات موحية من قبيل مفردة (علاج) والتي لا تقصد بها العلاج بمعناها العام المتداول؛ بل تقصد بها الحرية، والأمان، والمعاملة اللطيفة والجيدة التي تحتاج إليها كل امرأة. وكذلك الإيقاع الداخلي بين الكلمات:(أن تعيشي، أن تحبي وتُحبي) كل هذه وأشياء وأخرى جعلت من النص نصًا غنيًا بالبعد الشعري الذي يعكس فيما يعكس حالة الاستلاب الذي يأخذ أبعاده الثقافية والانسانية في الرواية والمطالع لرواية(روما تيرميني) يلاحظ أن الساردة قد وظفت اللغة الشعرية بعناية لكي تستطيع من خلالها أن تعبر عن الاغتراب والضياع والتشتت التي يتعرض له الإنسان المهاجر فتقول:" **العدل الوحيد الموجود في هذه الدنيا ألا عدل" (بن شتوان، 2021 ، 42)** وهو ما يوحي لنا أن الساردة وظفت تقنية الاختزال والتكثيف والتي تعد من إحدى السمات اللغة الشعرية، لتعبر بها عن حقيقة الحياة والواقع المعيش وسط انعدام العدالة، فهي بدلاً من أن تسهب وتسرد كل ما عاشتها من الحرمان والاغتراب والذل، نجدها اختصرت كلها بعبارة مكثفة مليئة بمعان شعرية فضلاً عن التوتر الذي أحدثتها عبر المفارقة اللفظية تكمن في إثبات ونفي مفردة(العدالة)في عبارة واحدة..

ومما لا شك فيه أن الروايات وظفت الكلمات الشعبية والدراجة لتعبر بها عن استلاب شخصيات الرواية وهذا واضح من كلام الساردة وهي تواسي نفسها بأغنية مكونة من المفردات الشعبية فتقول: **عيني بكت م الوقت مال عليها ... غبا وين هي تذرف**
ونا مخليه
ابكا جننها ... ما فايده امفيت العما جبلها....."(بن شتوان، 2017 ، 295) نلاحظ أن المفردات التي تكونت منها القصيدة هي مفردات شعبية ودارجة إذ يصعب على المتلقي الذي لا يعرف اللهجة الليبية الأصيلة فهمها لأن القصيدة هي من إحدى القصائد الشعبية القديمة الليبية والتي تعكس الحزن والاستلاب الوجودي للشخصية. ومن الجدير بالذكر أن تجليات اللغة الشعرية في روايات بن شتوان ليست مقصورة على المعجم الشعري فحسب بل تجاوزت ذلك إلى شعرية التركيب، فجاءت الكثير من النصوص والتي تمثل والاستلاب خاصة على وفق شعرية التركيب، ذلك أن الروايات وظفت الصور التشبيهية لتعبر بها عن مشاعر الاستلاب الوجودي أو الاجتماعي والحياة الصعبة التي تعيشها شخصيات الروايات فتتجلى جمالية التشبيه في ذلك الأسلوب الفني الذي يعتمد على إيجاد علاقة مشتركة بين شيئين أو أكثر، في صفة، أو حالة معينة، أو عدة صفات وأحوال، وذلك عبر توظيف أركان التشبيه المعروفة، من أجل التعبير عن جمال تلك الصورة التي تحاول الكاتبة نقلها إلى المتلقي. والتشبيه قد يكون في المعنى وقد يكون في الهيئة، وقد يقع تارة بالصورة، والصفة وأخرى بالحال والطريقة.(عصفور ، 1992 ، 172) وقد تجلى التشبيه في صور سردية وفنية عديدة كما في رواية (زرايب العبيد) منها قول الساردة:" **هبط النهار سريعاً. كان يوماً سمته العدو، وكان على الخادمات العمل وكأن شيئاً لم يحدث..... كان عليهن إعداد طعام الوليمة ....، ساد الحزن بينهن وسيطر الوجوم كنّ كالنمل يتحركن بلا أحاديث وبلا نكات وبلا أغنيات، ."(بن شتوان، 255، 2017)**
فالساردة عندما أرادت أن تعبر عن الحزن والألم الذي أصاب خادمات البيت، وعلى الرغم من حزنهن الشديد كان عليهن إعداد الطعام للدعوة والوليمة، شبهتهن بالنملة التي ليست لديها أية سطوة للا يقاف من يؤذها. فهن كنّ يشعرن بالحزن، وتحترق قلوبهن على صديقتهن، التي كان تصل صوت بكائها يصل المطبخ وهي محبوسة، ولكنهن لا يستطعن فعل شيء لها، فكما هو واضح أن الخادمات المشبه في هذه العبارة والنمل مشبه به هو، والأداة التي تربط بينهما كاف التشبيه كما هو واضح ووجه الشبه يتمثل في عدم القدرة والضعف. فعبر فن التشبيه عبرت الساردة عن الحزن والاستلاب والإهانة والظلم الذي كن يعشنه خادمات القصر.. ومما يمكن إضافته لذلك، ومن إحدى أهم القضايا التي تناولتها الروائية في رواية (روما تيرميني) هي قضية المرأة المهاجرة، والحياة الصعبة التي تقع على كاهلها؛ لأسباب اقتصادية، ممّا تجد نفسها مضطرة للعمل بوصفها خادمة في شقة، تضم مسنات، فتعمل بعنايتهن، وتتحمل أوامرهن، وطلباتهن الكثيرة فعبرت عنها بصورة شعرية تحمل في طياتها عمق الآلام والمعاناة، فتقول الساردة
:"-انزلي معك قمامة الكرتون والبلاستيك....
حسناً..... أوصدت ناتاشا الباب متنهدة بعمق، وهبط من السلم كمن يهرب من حريق.(بن شتوان، 2021 ، 18)
يتضح لنا أن ناتاشا تتعرض للظلم والتجريد، والضياع والاغتراب، فهي لا تعرف أحدًا، أو جهة تتجه، إليها، فقد ذهبت مهاجرة أوكرانية فشبهت الساردة حالة النفسية التي تمر بها الشخصية بحالة شخص يعيش قرب حريق، وبيته تحترق وتريد الهروب والابتعاد عن مصدر الحريق، فهي مشتتة وتائهة في المنفى. . فضلًا عمّا وظفته من ممكنات فن الاستعارة، ودور هذا الفن وفعاليته في إضفاء جمالية على النصوص التي تمثل الاستلاب بأنواعها المتنوعة في الروايات التي هي عينة الدراسة.

فيتبين لنا جمالية اللغة الشعرية عبر هذا الفن في قول الساردة، وهي تسرد لنا حياة يوسف، وهو شخصية له حضوره في رواية زرايب العبيد، فتذكر الساردة على لسان يوسف " **أنا مقطوع. ربتني الشوارع والأما كن الفقيرة."(بن شتوان، 2017 55)** نلاحظ أن الساردة لم توظف اللغة التقريرية لتبين للمتلقي حقيقة حياة هذه الشخصية، بل ارتقت إلى اللغة الشعرية، ووظفت كلمات، فيها قوة العاطفة وتمثل استلاب هوية وضياع اغترابي واضح، فالذي تعيشه الشخصية نجده ماثلًا في مفردات، من قبيل:(مقطوع، ربتني الشوارع والأما كن الفقيرة) تدل على أن الساردة سعت إلى ترك الأثر في نفس المتلقي وشعور بما عاشته الشخصية. لأنها وظفت فن الاستعارة البلاغي، ذلك أنها استعارت صفة التربية التي هي من صفات الإنسان، وأسندتها للشارع، لذلك نرى أن المتلقي حين يطالع عبارة(ربتني الشوارع والأما كن فقيرة) يتعاطف مع القص، ويشارك الإحساس المتضمن فيه، ويتخيل له حجم ما ذاقه هذا الشخص من حرمان وألم ومعاناة.

الخاتمة

بعد عرضنا لأهم اشتغالات اللغة وتمثلات الاستلاب في روايات نجوى بن شتوان يمكننا أن نلخص أهم النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة.

1) اللغة في الروايات التي هي عينة الدراسة ليست مجرد أداة التواصل بل هي مرآة تعكس تجربة الاستلاب والظلم وما تتعرض لها الشخصيات الروائية.

2) لا يشترط أن تكون المفردات والتراكيب مفردات ساخرةً حتى نقول إنها لغة ساخرة بل في بعض أحيان الظرف والسياق ما يجعل من اللغة لغة ساخرة كما هي في روايات التي هي عينة الدراسة.

3) إن التفاصيل الصغيرة ليست فائضة كما كان سائداً في الرواية التقليدية والكلاسيكية بل لها مكانتها الخاصة وهي سمة من سمات الرواية الحديثة.

4)اللغة الشعرية على الرغم من جمالها يمكن أن يعبر بها عن الحزن والتشتت والظلم والحرمان.

5) قد وظفت الروايات الكثير من المفردات والتعابير الشعبية الدارجة لتعبر بها عما تتعرض لها الشخصيات الرواية من القهر والمعيشة الضنكة.

6)أكثر الشخصيات اللائي تعرضن للاستلاب والظلم في الروايات التي هي عينة الدراسة من جنس النساء ولكن هذا لا يعني أن الرجال لم يتعرضوا لذلك..

المصادر

ابن منظور، (1414هـ)، لسان العرب، دار الصادر-بيروت، ج12، ط3

أبو نضال، نزيه، (2004)، تمرد الأنثى، في الرواية المرأة العربية وبيبلوجرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، دار الفارس، ط1

باختين، ميخائيل، (1986)، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال

باختين، ميخائيل، (1987)، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، ط1

بارث، رولان وآخرون، (1992)، طرائق تحليل السرد الأدبي، تر: حسن بحراوي وزملائه، منشورات إتحاد كتاب المغرب-الرباط

بن شتوان، نجوى، (2017)، زرايب العبيد، دار الساقي

بن شتوان، نجوى، (2020)، وبر الأحصنة، ط1

بن شتوان، نجوى، (2021)، روما تيرميني، ط1
بن شتوان، نجوى، (2022)، كونشيرتو قورينا إدوارد، ط1
حمداوي، جميل، (2011)، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، المغرب
حمود، ماجدة، (1992)، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، مؤسسة العيبال، نيقوسيا، ط1
ذاكر، د. عبدالنبي، (2000)، العين الساخرة أقنعتها وقناعتها في الرحلة العربية، المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة-مطبعة الكماني، ط1
ذويب، نجاة، بلاغة التفاصيل في رواية 366 لأمير تاج السر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي
راضي، حكيم، (1984)، اللغة وحدودها، مجلة الأقلام، العدد (5)، وزارة الثقافة والإعلام
الطودروف، تزفيطان، (1990)، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط2
طلبة، محمد سالم، (2008)، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي
العبد، محمد، (2008)، المفارقة القرآنية-دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة
عبيدالله، محمد، الرواية العربية واللغة-تأملات في لغة السرد في تجربة نجيب محفوظ
عثمان، عبدالفتاح، (1982)، بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية
عصفور، جابر، (1992)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي، ط3
الغذامي، عبدالله، (2008)، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط3
كوين، جون، (1990)، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، مكتبة زهراء القاهرة
محمود، محمد، (2010)، دراسة مفاهيم الشعرية- دراسة في نقد العربي القديم، دار جرير، أربد-الأردن، ط1
مرتاض، عبدالملك، (1998)، في نظرية الرواية-بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة
الهوال، د. حامد عبده، (1982)، السخرية في الأدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب
تاورته، محمد العيد، (2004)، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري-الجزائر، العدد(21)
زادة، بهروز قربان، (2022)، جمالية تجلي اللغة الشعرية في رواية ((شرف قاطع طريق)) لـ "حنا مينة"، مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد: 1، الربيع
سعيد حسون، سمير، (2009)، نظرية اللغة الشعرية في الخطاب الروائي، مجلة كلية الآداب-جامعة المنصورة، المجلد (2)، العدد (44)، يناير